المخدرات والأدب
دراسة تحليلية لروايتى
ثرثرة فوق النيل وربع جرام

منى بدير*

تهدف الورقة البحثية الراهنة إلى التعرف على قدرة الرواية المصرية على تناول قضية التعاطى والإدمان عبر فترتين زمنيتين فى تاريخ المجتمع المصرى (قبيل هزيمة ١٩٦٧، وفى أعقاب اتفاقية السلام ١٩٧٩) من خلال روايتين مهمتين تناولتا قضية المخدرات وهما (ثرثرة فوق النيل، وربع جرام) وفى هذا السياق تحاول الورقة التعرف على سمات الشخصيات الأساسية التى أدمنت المخدرات فى الروايتين، ودوافعها، والآثار المترتبة على إدمانهم، ثم تعرض تفاصيل دقيقة عن قضية المخدرات من حيث الأنواع، وأماكن وطرق الحصول على المخدر، ووسائل العلاج الممكنة للخروج من متاهة الإدمان.
الكلمات الدالة: المخدرات – الرواية – الأدب.

مقدمة

تعتبر إعادة صياغة مشكلات المجتمع فى الأعمال الإبداعية هى إحدى الوسائل المهمة لفهم هذه المشكلات ومحاولة بلورتها والتصدى لها، وتقديم الحلول الفعالة من جانب جمهرة المبدعين الذين أثبتوا بعقليتهم وحسن إدراكهم للأمور أن استخدام الفن والأدب هو أنسب الوسائل وأنجحها للوصول لعمق المشكلة، وعرض الحل الأمثل للقضاء على مظاهرها وأسبابها، وذلك بسبب التقاط الإبداع لواقع المجتمع ومحاكاته لجزئياته واقترابه بهذه المحاكاة من عصب اهتمامات الفرد والمجتمع على السواء، كما أن المذاهب الفنية الحديثة هى الأخرى قد ألقت على عاتق الأعمال الإبداعية الفنية وظيفة مهمة لخدمة المجتمع وإسعاده، وهى أن الفن من أجل الحياة والمجتمع، وليس الفن من أجل الفن فكان لزاما على الأعمال الإبداعية أن تتصدى لمشكلات المجتمع بأن تعيد صياغتها، وإعادة تشكيل الواقع بما يتلاءم وصالح المجتمع وتقدمه، من خلال ذلك يتبلور الحل لهذه المشكلات، وتتجسد الرؤية المتميزة نحو الطريق الصحيح، وتتدافع وجهات النظر المختلفة المحملة على النصوص الإبداعية المختلفة من أدب وفن وإعلام لتواصل منهج حل هذه المشكلات، فنجد أن فنون الكلمة المكتوبة من شعر وقصة ورواية...الخ لها التأثير الأقوى على مناهج الإرشاد المباشر فى حل مشكلات المجتمعات الملحة، ومن

* أستاذ علم الاجتماع المساعد، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية.

هذه المشكلات التى يتعرض لها المجتمع المصرى الآن مشكلة "تعاطى وإدمان المخدرات"، وتكمن خطورة هذه الظاهرة فى كونها تصيب الطاقة البشرية الموجودة فى أى مجتمع بصورة مباشرة وغير مباشرة وبصفة خاصة الشباب وهى بذلك تصيب جزءًا لا يستهان به من الطاقة البشرية الموجودة فى أى مجتمع مهما اختلفت درجة تحضره، مما يعرقل جهود التنمية.

"وعلى الرغم من تزايد جهود مكافحة ظاهرة التعاطى والإدمان فى مصر، وتخصيص اعتمادات مالية كبيرة لها سنويًا، إلى جانب النمو المتزايد فى مشاركة قطاعات اجتماعية وجمعيات أهلية عديدة فى عمليات التوجيه والتوعية والإرشاد، فإن ظاهرة التعاطى وإدمان المخدرات لازالت فى نمو متزايد يفوق الجهود التى تبذلها المؤسسات الرسمية والأهلية المعنية بالمكافحة مما يثير عددًا من التساؤلات حول العوامل التى تؤدى إلى انتشار تلك الظاهرة بقوة، وحول الرؤى المتعددة التى تحاول تفسير آثار الظاهرة فى المجتمع. (أميرة عزقول، ٢٠٢٢، ٥٣)

وفى سبيل ذلك أجريت العديد من الدراسات المعنية بتحليل العوامل المؤدية إلى الإدمان، والتى اعتمدت فى ذلك على أطر تفسيرية متعددة ودراسات ميدانية واسعة لمحاولة الوقوف على أسباب ظاهرة الإدمان، وأهم الآثار الناتجة عن إدمان المخدرات سواء كانت آثارًا تعود على الفرد أو الأسرة أو على المجتمع ككل، وكذلك محاولة التوصل إلى حلول جذرية للحد من انتشار تلك الظاهرة. (أميرة عزقول، ٢٠٢٢، ٥٤)

ولما كانت الدراسة الحالية تنتمى إلى علم اجتماع الأدب فهى من هذا المنطلق تسعى إلى محاولة الكشف عن قدرة الأدب ومدى نجاحه فى معالجة قضايا المجتمع من خلال تجسيده لها وتعبيره الصادق عنها من خلال روايتين تصدتا لهذه المشكلة من كل جوانبها راصدين جزئياتها مستلهمين سبل معرفة أسبابها محاولين إيجاد الحلول للقضاء عليها.

أولاً: إشكالية الدراسة

ترى وجهه النظر السوسيولوجية أن الأدب لا يمكن أن ينشأ خارج السياق الاجتماعى للمجتمع، فالعلاقة بين الأدب والمجتمع علاقة معقدة لا تسير على نمط واحد، ولكنها فى نفس الوقت على درجة كبيرة من الأهمية بحيث تقوم على تفاعل دينامى بين الأديب وبين ما يدور حوله فى المجتمع، ومن ثمة تتحدد قيمة الأديب فى مدى قدرته على رصد المشكلات والتناقضات والصراعات داخل مجتمعه، ولما كان الأديب فردًا من أفراد المجتمع يتأثر بمجتمعة وعصره، وبكل ما يدور من ملابسات حوله، فإن هذا يجعل لكل عصر أدبا يختلف عن العصور الأخرى.

ومن هنا يمكننا القول بأن أدب كل عصر من العصور إنما هو تعبير عن الواقع الاجتماعى والاقتصادى وتعبير عن آدابه وفلسفته. ومن هنا تأتى أهمية الدراسة فى محاولة الكشف عن العلاقة بين الأدب من جهة والمجتمع وقضاياه من جهة أخرى ومدى قدرة الأدب على معالجة قضايا المجتمع من خلال تجسيده لها وتعبيره الصادق عنها. وتتبلور إشكالية الدراسة فى محاولة الكشف عما إذا كان الأدب وخاصة الرواية المصرية قد استطاعت أن تعكس وتصور بصدق قضية إدمان المخدرات وصورة المدمن وأهم الأسباب التى تدفع للتعاطى وإدمان المخدرات، وما تؤول إليه من نتائج سلبية على المدمن بشكل خاص وعلى المجتمع بشكل عام، حيث أصبحت ظاهرة إدمان المخدرات من الظواهر الأكثر تعقيدًا وخطورة، ليس على الإنسان وحدة، بل على المجتمع أيضًا، وذلك من خلال تحليل روايتين وقع الاختيار عليهما عالجتا بشكل مباشر ظاهرة تعاطى وإدمان المخدرات وأثرهما على الفرد والأسرة والمجتمع.

ثانياً: أهمية الدراسة

وتستمد الدراسة الراهنة أهميتها من المنطلقات التالية:

١- تبرز أهمية الدراسة فى ضوء ندرة الدراسات السابقة التى بحثت فى تناول الأدب وخاصة الرواية لظاهرة تعاطى وإدمان المخدرات، لذا فإن هذه الدراسة هى محاولة لإثراء التراث السوسيولوجى فى مجال علم اجتماع الأدب وقدرته على أن يعكس ويصور قضايا ومشكلات المجتمع بشكل عام ومشكلة الإدمان محل الدراسة بشكل خاص وذلك فى ضوء تحليل عملين أدبيين هما (ثرثرة فوق النيل للأديب الراحل نجيب محفوظ وربع جرام للأديب عصام يوسف).

٢- إن الأدب يستخدم باعتباره أحد روافد المعرفة فى بعض الدراسات الأمبريقية التى أجريت فى حقل العلوم الاجتماعية، فالرواية ترصد فئات من البشر وتصف تفاصيل حياتهم، الأمر الذى قد يساعد علماء الاجتماع على تفسير بعض الظواهر الإنسانية. كما أن الرواية على وجه الخصوص تعتبر فى حد ذاتها نوعًا من البحث الاجتماعى الكيفى، والأديب باحث يستخدم أداة الملاحظة بالمشاركة والمقابلة فى سبر أغوار الشرائح الاجتماعية التى يكتب عنها.

٣- كما تمثلت أهمية الدراسة فى الرصد الواقعى لتطور الرواية المصرية فى تناول قضية المخدرات من خلال عملين عبرا عن فترتين من تاريخ المجتمع المصرى قبيل هزيمة ١٩٦٧ وفى أعقاب اتفاقية السلام ١٩٧٩ إيمانا بأن لكل عصر من العصور أدبه الذى يعبر عن واقعه الاجتماعى والاقتصادى، كما أن هذه الأعمال قد تكون لها أصداء سلبية أو إيجابية على الجمهور المتلقى والمجتمع بأكمله.

ثالثاً: أهداف الدراسة وتساؤلاتها

تسعى الدراسة إلى التعرف على كيفية تناول الرواية المصرية لقضية التعاطى والإدمان عبر فترتين زمنيتين فى تاريخ المجتمع المصرى (قبيل هزيمة ١٩٦٧، وفى أعقاب اتفاقية السلام ١٩٧٩) من خلال روايتين مهمتين تناولتا قضية المخدرات وهما (ثرثرة فوق النيل، وربع جرام) سعيا للتعرف على الأسباب المؤدية إلى الإدمان، وأهم الآثار والنتائج المترتبة على الإدمان ومدى تأثيره على المدمن بصفة خاصة وعلى المجتمع بصفة عامة.

التساؤل الرئيس: كيف تناولت الرواية المصرية متمثلة فى روايتى (ثرثرة فوق النيل– وربع جرام) ظاهرة إدمان المخدرات؟

يندرج تحت هذا التساؤل عدة تساؤلات أهمها:

١– ما سمات الشخصيات الأساسية التى أدمنت المخدرات فى الروايتين؟

٢– ما الدوافع التى قدمتها الروايتان وراء دخول شخصياتها دائرة الإدمان؟

٣– ما مدى اهتمام الروايتين بتقديم تفاصيل دقيقة عن قضية المخدرات من حيث (أنواع المخدرات التى أدمنتها شخصيات الروايتين، أماكن الحصول على المخدرات – شعور المدمن بعد تعاطى المخدر وكيفية الإفاقة منه، التعبيرات التى يتداولها المتعاطون فى جلسات التعاطى، وأماكن شرائها، وطرق الحصول على المال لشراء المخدر؟

٤– ما صورة المتعاطى والمدمن وما انتهى إليه كما قدمتها الروايتان؟

٥– ما الآثار السلبية الناجمة عن التعاطى كما طرحتها الروايتان؟

٦– ما وسائل العلاج التى طرحتها الروايتان وما تأثيرها على المدمنين؟

رابعاً: المدخل النظرى للدراسة (نظرية الانعكاس)

سادت فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر نزعة أدبية تدعو إلى ربط الأدب بالحياة واصطلح على تسميتها بالأدب الواقعى، وكانت أبرز تلك الجهود ما ذهب إليه (تين) الذى رأى بأن هناك ثلاثة عوامل تؤثر فى الأدب (الجنس – البيئة– الزمن) (أمل حركة، ٢٠١١، ٣٧)

ومفهوم الانعكاس مؤداه أن الأدب يعكس المجتمع ويصور وقائعه "وهى فكرة قديمة فى الأدب قدمها أفلاطون ومن بعده أرسطو أيضًا، فلقد أشار أفلاطون إلى مفهوم المرآة التى توضع أمام الطبيعة لتمثل فكرة انعكاس الحياة فى الأدب، واستخدم أرسطو أيضًا مفهوم المحاكاة، حيث أكد أن الفنون بصفة عامة تعد محاكاة للواقع، وأصبحت هذه الفكرة مألوفة بعد ذلك فى النقد الأدبى ابتداء من عصر شيشرون

الرومانى حيث استخدم مصطلح مرآة العادات أى أن الأعمال الفنية والأدبية تصور العادات والتقاليد المجتمعية" (محمد على بدوى، ٢٠١١، ١٣٠).

وتؤكد النظرية الكلاسيكية على أن الأدب عاكس للحقائق أو الوقائع الاجتماعية التى تقع خارج ذات الأديب، وهذه الحقائق تتصل بالعالم المادى، "فالأديب هنا هو ناقل لما حوله من مظاهر الحياة المختلفة دون تدخل لذاته وعقلة فى ذلك.... ليس ذلك فحسب أيضًا تنظر النظرية الكلاسيكية للأدب على أنه عاكس لعالم المثل أو الحقائق المتعالية. فهذه الحقائق المادية واللامادية (المثل والأخلاق) تنعكس فى الأدب كما تنعكس الأشياء على سطح المرآة، والمبدع هنا ما هو إلا عاكس للعالم الخارجى ولذلك فالنظرية الكلاسيكية تنظر إلى الأعمال الأدبية على اعتبار أنها صور مختارة من الحياة الاجتماعية، وعلى العكس من النظرية الكلاسيكية" تؤكد النظرية الرومانسية على الانفعالات والمشاعر والأحاسيس التى تقع داخل الأديب أو المبدع، كما تؤكد على ذاتية الأديب فى نقله للواقع أكثر من تأكيدها على الواقع ذاته" (محمد على بدوى، ٢٠٢٢، ١٣١)

بينما بلور الواقعيون أفكارهم حول العلاقة بين الواقع والأدب مستخدمين مصطلحًا خاصًا بهم هو الانعكاس، تاركين مصطلح المحاكاة الأرسطى ومفهوم المرآة الذى ابتدعه أفلاطون من قبل.

ويرى لوكاتش أن الأعمال الأدبية تعتبر بمثابة وثيقة تاريخية تعكس كل جوانب الحياة الاجتماعية، وأن مهمة عالم الاجتماع تكمن فى اقتفاء أثر الروابط الضرورية بين الأعمال الأدبية والجماعة الاجتماعية التى صدرت عنها عبر مراحل تاريخية محددة، ولذلك يؤكد لوكاتش على أهمية الخلفية التاريخية لعالم الاجتماع والتى يستطيع فى ضوئها استكشاف الروابط الحقيقية بين الأعمال الأدبية وظروفها السوسيو تاريخية" (خضار وداد، حاجى نسيمة، ٢٠١٧، ٢١)

وقد استندت نظرية الانعكاس فى تفسير الأدب من حيث نشأته وماهيته ووظيفته إلى الفلسفة الواقعية المادية، هذه الفلسفة التى ترى بأن الوجود الاجتماعى أسبق فى الظهور من وجود الوعى، بل إن أشكال الوجود الاجتماعى هى التى تحدد أشكال الوعى، وقد استطاعت نظرية الانعكاس أن تقدم مفاهيم جديدة تمامًا عن نشأة الأدب وطبيعته ووظيفته، والتى تتمثل فى التنوير والتحفيز بطريقة أعمق، وتحريك الإنسان ليسهم فى تغيير واقعة الاجتماعى النحو الأفضل، كما يركز أصحاب نظرية الانعكاس على الدلالة الاجتماعية للأعمال الأدبية وعلى العلاقة بين الأدب والمجتمع بالدرجة الأولى وكيفية جعل الأدب شيئًا فاعلًا وموجها لحياة الناس. (فريدة: بوزيدانى، ٢٠٠٩)

إذن فقد ركزت هذه النظرية على محور وظيفة الأدب وانطلقت منه لتفسير الظاهرة الاجتماعية ولعل استنادها إلى الفلسفة الواقعية المادية قد جعل منهجها مختلفا تمامًا، فلم تعتمد على الوصف والتأمل

بل اعتمدت على وضع الفروض والاستقراء ودراسة تاريخ الفنون العالمية، وحاولت أن تفسر وتعلل الظاهرة الأدبية باعتبارها جزءا من الظاهرة الثقافية عامة مع الاهتمام بخصوصيتها واستقلاليتها النسبية عن بقية أنساق المعرفة والعلوم الإنسانية،" وترى الفلسفة الواقعية المادية وهى الأساس الفلسفى لنظرية الانعكاس أن الواقع المادى أى علاقات الإنتاج وقوى الإنتاج (وهو ما تسميه بالبناء التحتى) تولد وعيًا محددًا، هذا الوعى يتمثل فى الثقافة والأدب والقوانين والدساتير والفكر والفن (وهو ما يسمى بالبناء الفوقى) وأن أى تغير فى البناء التحتى يستدعى تغيرًا فى البناء الفوقى بالضرورة.

بمعنى آخر أى أن التغيير فى البناء الاقتصادى والاجتماعى يؤدى إلى تغير فى شكل الوعى أو مجمل البناء الفوقى غير أن العلاقة بين البنائين علاقة جدلية بمعنى أن الوعى أو البناء الفوقى يعود فيؤثر فى البناء التحتى من خلال تثبيته أو تحـريره أو تعديله أو تغييره. (محمد على بدوى، ٢٠١١، ٢٩)

ومن حيث الأدب فكل تغيير اقتصادى أو اجتماعى يستتبع تغييرًا فى الرؤية لمفهوم المجتمع واللغة والأدب، وهو ما يؤدى بالضرورة إلى تغيير فى الأشكال الأدبية من حيث الموضوعات والأساليب والأهداف، وهو ما يعنى أن الأدب انعكاس للواقع الاجتماعى.

خامساً: الإجراءات المنهجية

تندرج الدراسة الراهنة ضمن الدراسات الوصفية التحليلية التى تعنى بشكل أساسى بدراسة تناول الأدب لقضية المخدرات، كما اعتمدت الدراسة على أداة تحليل المحتوى الكيفى فى التعامل مع روايتى العينة، حيث إن هناك اتفاقًا واسعًا على خصوبة وثراء التحليل الكيفى، وخاصة فى بعض المجالات التى لا يصلح لدراستها غير التحليل الكيفى الذى أثبت كفاءة واضحة فى دراستها، ومنها الأدب والفن بصفة عامة. "وتتميز الدراسات الكيفية بتجنب التصميمات المقيدة والأساليب المغلقة فى دراسة الظاهرة ولذلك تتميز بالتحرر من القيود والضوابط التى أرستها المدرسة الأمبريقية حتى يمكن الوصول إلى الفهم الكامل للحقائق وليس مجرد الوصول إلى مؤشراتها". (عزت حجازى، ٢٠٠٧، ١-٢١)

- وقد تم استخدام أسلوب تحليل المحتوى الكيفى للروايتين وذلك بوضع بعض المحاور للتحليل وهى:
- سمات الشخصيات الأساسية التى أدمنت المخدرات فى الروايتين.
- الدوافع التى قدمتها الروايتان وراء دخول شخصياتها دائرة الإدمان.
- تبيان أنواع المخدرات التى أدمنتها شخصيات الروايتين، أماكن الحصول على المخدرات – شعور المدمن بعد تعاطى المخدر، كيفية الإفاقة منه تعبيرات المتعاطين فى جلسات التعاطى، طرق الحصول على المال لشراء المخدر.
- صورة المتعاطى والمدمن وما انتهى إليه كما قدمته الروايتان.

- الآثار السلبية الناجمة عن التعاطى كما طرحتها الروايتان.
- وسائل العلاج التى طرحتها الروايتان وتأثيرها على المدمنين.

١- الخطوات الإجرائية لتحليل الروايتن

أ – **فئة الموضوع:** وهو تناول الأدب لقضية المخدرات وصورة المدمنين فى الروايتين.

ب– **فئة الفاعل:** وهى الشخصيات الأساسية التى أدمنت المخدرات فى الروايتين.

ج– **فئة السمات:** وتمثل سمات الشخصيات الأساسية التى أدمنت المخدرات فى الروايتين مثل (السن، النوع، المهنة، الحالة الاجتماعية، وشكل الأسرة التى تنتمى إليها الشخصيات).

٢- عينة الدراسة

تم اختيار عينة عمدية من الروايات التى تناولت قضية إدمان المخدرات وهما:

- **رواية ثرثرة فوق النيل** للأديب العالمى الراحل نجيب محفوظ والتى صدرت عام ١٩٦٦ وتقع الرواية فى مائة وسبعين صفحة تدور حول مجموعة من المثقفين من الطبقة المتوسطة من الرجال والنساء، يلتقون كل يوم فى المساء فى عوامة على النيل، يشربون الحشيش ويتسامرون ويتناقشون ويثرثرون، لكن هذه الثرثرة والهلوسة ليست مجرد ثرثرة بريئة، فى عوامة وسط ضباب الحشيش، فخلال أحاديث الهلوسة يتطرقون لكل القضايا الاجتماعية والسياسية والوجودية. والرواية تقدم صورة واضحة لظاهرة اغتراب المثقفين وتطرح دون موارية رؤية سياسية تنبؤية واضحة لنكسة ١٩٦٧.

  ويجب أن نشير إلى مغزى عنوان الرواية، فالثرثرة فى ذاتها توحى بالعدمية والعبثية وعدم الجدية واللاجدوى، لكنها فى الحقيقة ثرثرة هادفة وبها نقد مرير للمجتمع.
- **رواية ربع جرام: للأديب عصام يوسف** رواية "ربع جرام" من الأدب الاجتماعى الذى يتخلل– بعمق– ذلك النسيج المجتمعى للفترة التى تمثلها الرواية، وتتبنى مشكلة إدمان المخدرات باعتبارها ظاهرة حياتية من أهم المشكلات التى تعانى منها جميع المجتمعات الإنسانية. تقع الرواية فى ستمائة وخمس وثلاثين صفحة وصدرت عام ٢٠٠٨.

تدور أحداث الرواية حول (صلاح) الذى يروى تجربته مع إدمان الهيروين. هو وخمسة من الأصدقاء المقربين تُمثل (الشلّة) بالنسبة له. (صلاح) يروى القصة من بدايتها على لسانه، ويحكى تفاصيل حياته وعائلته، وأصدقائه، وأين يحيا، ونمط حياته، وكيف تربى، حتى عرف طريق إدمان الهيروين. الرواية تروى الكثير من التفاصيل، وأكثر التفاصيل إحاطة هو محاولة الإقلاع عن الإدمان التى نجح فيها عدد قليل من الأصدقاء، بينما سقط الباقون فى الهاوية (السجن أو الوفاة بجرعة زائدة).

وإذا تأملنا مغزى عنوان الرواية نجد أنه يعتمد على الاختصار والاختزال (ربع جرام) ويعنى بداية الانهيار، حيث نجد أن الوجه الخلفى للرواية كتب علية الحوار المجتزأ من الرواية والذى يشير إلى بداية أبطال الرواية فى السقوط فى دائرة إدمان الهيروين.

سادساً: **تحليل الروايتين (ثرثرة فوق النيل – ربع جرام)**

بحسب الترتيب الزمنى لتاريخ إصدار الروايتين سنبدأ تحليل رواية "ثرثرة فوق النيل" ثم رواية "ربع جرام فى كل محور من محاور التحليل التالية:

١- سمات الشخصيات الأساسية التى أدمنت المخدرات فى الروايتين

أ- شخصيات رواية "ثرثرة فوق النيل"

- الشخصية الرئيسة **أنيس زكى**..... رجل فى الأربعين من العمر طويل القامة وذو جسم ممتلئ ووجه عريض وطويل، وهو يمتلك عينين ناعستين ينحدر "من القرية ويعيش فى القاهرة، من الطبقة الكادحة، كما تتمثل حالته الاجتماعية فى كونه "زوجًا وأبًا سابقًا"، يعمل موظفًا فى الصحة، رجل مثقف... وولى أمر العوامة ووزير شئون الكيف.
- **سمارة بهجت**... "فتاة فى الخامسة والعشرين" ووصفها الراوى بأنها "**باسمة الوجه**" فتاة سمراء وجذابة ونظرتها فيها ذكاء حاصلة على شهادة "ليسانس لغة إنجليزية"، وقد حصلت عليه وهى دون العشرين بقليل، تعمل صحفية ولها آمال وطموحات رفضت الزواج من برجوازى دون الأربعين، وترفض تعاطى الكيف والجوزة ولكنها تشرب الخمر.
- **ليلى زيدان**... فتاة فى الخامسة والثلاثين من عمرها معتدلة القامة ذات شعر ذهبى بها غلظ فى أرنبة الأنف تنتمى إلى أسرة من بيئة محافظة، خريجة الجامعة الأمريكية، وتعمل مترجمة بالخارجية فتاة من القاهرة، وأحد أفراد العوامة، ومدمنة حشيش.
- **سنية كامل**... امرأة حيوية ولا يعيب جسمها إلا أن الجزء الأعلى منه أضخم من الأسفل، تمتلك عينين رماديتين: وتنطق الراء غاء سمراء وعصبية وتحب الضحك من بنات الميردى دية متزوجة ولديها أولاد ربة بيت تعيش فى القاهرة تمارس مهنة تعدد الزواج، وتتعاطى المخدرات (الجوزة).
- **العم عبده**... شيخ عجوز، يعمل إمامًا بالمصلى، وهو خادم فى العوامة ذو قامة عملاقة قوى البنية يمتلك صوتًا جميلًا، يعيش وحده فى الكوخ، وليس لديه أقارب فى القاهرة ويتمثل عمله فى العوامة فى كونه يتفقد الفناطيس ويجذب العوامة بحبالها تبعا للأحوال ويسقى الزرع، يؤم المصلين، ويحسن الطهى ويعمل على رد أى اعتداء خارجى يصيب العوامة.

- **سناء رشيدى**... فتاة فى العشرين سمراء، طالبة بكلية الآداب وتخصصها هو التاريخ من القاهرة تنتمى إلى الطبقة المثقفة، وتتسم بالانحلال، والعبث والتجرد من القيم، تهرب من الواقع من خلال تعاطيها المخدرات (الجوزة) وهى كذلك أحد أفراد العوامة الذين فقدوا الهوية.
- **مصطفى راشد**.. صديق البطل أنيس زكى، لم يرد وصفة الخارجى فى الرواية، يعمل محاميًا، متزوج من مفتشة بوزارة التربية والتعليم يتعاطى المخدرات (الجوزة).
- **على السيد**: عيناه كبيرتان، وأنفه كبير، متهدلا لزجا، أزهرى النشأة، وأتقن الإنجليزية فى مدارس برلتز، وله زوجتان القديمة من القرية والجديدة من القاهرة يتعاطى المخدرات (الجوزة).
- **رجب القاضى**.. يمتلك قوامًا ممشوقًا وسمرة داكنة وعيناه سوداوان جذابتان يعيش فى القاهرة، أحد أفراد العوامة يعمل نجمًا سينمائيًا يتعاطى المخدرات (الجوزة).
- **أحمد نصر**.... أنفه طويل، مدير حسابات، وله ابنة، زوج منذ عشرين عامًا لم يخن زوجه مرة ولم يمل عشرتها يتعاطى المخدرات (الجوزة).
- **خالد عزوز**... أحد أفراد العوامة، لم يرد وصفه فى الرواية، عاطل عن العمل ورث عمارة فضمنت له حياة رغدة، يملك فيلا وسيارة، يكتب قصة قصيرة يتعاطى المخدرات (الجوزة).

ب- شخصيات رواية ربع جرام

- **صلاح (صاصو)**.... بطل الرواية، شخصية حقيقية طلبت من الكاتب كتابة تجربته الأليمة كاملة لتكن رسالة للشباب لأخذ العظة والعبرة، وأعطاه معلومات حول قصته التى كتبها المؤلف فى عامين، فصلاح ينتمى إلى عائلة لها مكانتها فى المجتمع، فوالده مهندس إنشاءات متميز، له مشاريع ناجحة فى مصر وعدد من الدول العربية الأخرى، كما كان عضوا فى مجلس الشعب لمرات عدة، والدته أستاذة التاريخ بالجامعة، وأخوة الأكبر متفوق وحاصل على الدكتوراه من إحدى الجامعات البريطانية، وعمل فى مجالات مختلفة بمختلف دول العالم، أخته التوأم رولا لاعبة تنس فتاة مثالية بالجامعة لثلاث سنوات متتالية، وتعمل فى منظمة من منظمات الأمم المتحدة. بدأ صلاح تدخين السجاير فى سن مبكرة وهو فى السابعة من عمره" وعن تلك الفترة يذكر الراوى "**وفى سن السابعة بدأ الانفلات، أو بتعبير أدق الصياعة، بدأت أسرق السجائر من علبة سجائر فى الصالون أو غرفة المكتب، وبابا فى الشغل، أخواتى نايمين.. وبسرعة أنفخ سيجارتين أو ثلاثة.. فكرة خروج الدخان من فمى كانت تعجبنى جدًا** (عصام يوسف، ٢٠٠٨، ٩) ثم بدأ تناول الحشيش وهو فى الثانية عشرة من عمره.

- **أحمد "ميدو"**.... الصديق الأول لصلاح كان أكثر التزامًا وذهابًا للمدرسة. وعن ملامحه يشير الراوى "**لون بشرته أبيض، وعيناه لونهما أخضر، يتمتع بزيادة الوزن أو مكلبظ بمعنى أصح، يتحرك بصعوبة ويتهادى فى كسل فأطلقنا علية "بروطة**" (عصام يوسف، ٢٠٠٨، ١٦) يتعاطى الحشيش، والبيرة، وويسكى بكميات معقولة ومن حين إلى آخر.
- **حسين "زونى"** الصديق الثانى لصلاح ويشير الراوى لملامحه بقوله "**رفيع وطويل، ملامح وجهه آسيوية إلى حد ما، عيناه ضيقتان فأطلقنا عليه "بروسيلى"** (عصام يوسف، ٢٠٠٨، ١٦) توفى والده وهو فى سن صغير وتزوجت والدته بآخر، لا يهتم ولا يعنى بأمور ويتعاطى الحشيش والبيرة.
- **رامى"ريكو"**... **الصديق الثالث لصلاح** وسيم طويل القامة وجسمه رياضى، فتى مدلل ووالده لواء فى الجيش يتعاطى الحشيش، والبيرة.
- **بهاء "بونو"**.. قصير، يتعاطى الحشيش بكثرة، ووالده مقاول، ووالدته لا تعمل "ربة منزل"، والعائلة واسعة الثراء، ويشير الراوى إلى صفاته بقوله: "**كان نصابا ويحصل على الفلوس من تحت الأرض من البيت.. من البواب.. من البقال..، ويدعى حضور دروس خصوصية، المهم يتصرف ويصل إلى هدفه**". (عصام يوسف، ٢٠٠٨، ١٩)
- **علاء "اللول"**... طويل القامة، وسيم، لون شعره بنى مصفر، وهو الأخ الأكبر لميدو، يكبره بأربع سنوات، ويشير الراوى عن مدى اهتمامه بالتعليم "**كانت الجامعة أخر اهتماماته، وأهم أولوياته: البيرة، ثم الحشيش، والأفلام الجنسية، والمجلات الفنية، وأخبار الممثلات والمغنيات**". (عصام يوسف، ٢٠٠٨، ٢٠)

بالإضافة لشخصيات أخرى أدمنت للمخدرات ومنهم حسام، وشريف، عاطف، أمير.... غيرهم فى مصر وأمريكا، وشخصيات المستشفى، د. سمير، د. وليد، د.عليا د. إكرام وأصدقاء جمعية المدمنين المجهولين، مشرفة حاتم، أمجد، سليم كما أن هناك شخصيات نسوية –غير ما ذكر– مريم، الجارة الطيبة، والحبيبة المخلصة، تركته فى النهاية لفقدانها الأمل فى شفائه، وإحساسها أنها مجرد مصدر للتمويل بعد أن فقدت كل مدخراتها.

- **راندا:** صديقته فى الجامعة والتى تزوجها عرفيا وتركها.
- **هالة:** الشخصية الجميلة المتفوقة الملتزمة بتقاليد المجتمع وحب البطل لها ورفضها لعلاقتها بالبطل بعد معرفتها بعلاقته المشبوهة.
- **نانسى:** شخصية ساقطة عرفها البطل فى شقة صديقة حسام.

٢- دوافع دخول الشخصيات دائرة الإدمان كما قدمتها الروايتان (ثرثرة فوق النيل – ربع جرام)

تختلف دوافع إدمان شخصيات الروايتين بحسب الزمن الروائى الذى عبرت عنه الروايتان، فالرواية الأولى "ثرثرة فوق النيل" عبرت عن مجتمع الستينيات بعد صدور قوانين الاشتراكية وقبيل نكسة ١٩٦٧ وفيما يخص الرواية الثانية "ربع جرام" فأحداث الرواية تدور فى بداية الثمانينيات إلى منتصف التسعينيات أى فى أعقاب معاهدة السلام ١٩٧٩.

ولنبدأ بدوافع شخصيات رواية ثرثرة فوق النيل قبيل هزيمة ١٩٦٧، وهى تلك الفترة التى عانى منها المثقفون ظاهرة الاغتراب، والتى ضربت المجتمع المصرى فى تربته وتعملقت ثمارها فكانت الهزيمة والانهيار.

وقبل التطرق إلى دوافع إدمان هؤلاء المثقفين لابد من التنويه ببعض الملاحظات حول رواد العوامة:

- جميعهم مثقفون باستثناء شخص واحد (عم عبده) الذى لا يشترك معهم فى تناول الحشيش.
- النسبة الكبرى يعملون فى الفن، فهناك ممثل، وأديب، وناقد فنى، وصحفية، ناقدة ذات طموح أدبى، وفتاه ذات طموح تمثيلى.
- معظمهم يعيشون من غير ضائقة مالية، وإن كان أنيس يتقاضى مرتبًا زهيدًا، فإن الأصدقاء يتكفلون بالكيف.
- معظمهم من الطبقات الشعبية ويعانون من الإحباط على الصعيد العاطفى أو الاجتماعى أو المادى أو الفكرى أو الفنى.

وإذا دققنا النظر فى دوافع الشخصية الرئيسية للإدمان سنجد أنيس بطل الرواية تعرض لسلسلة من الإحباطات كان من أهمها: فشله فى إتمام التعليم الجامعى بسبب وضعه الاجتماعى، والذى أثر على وضعه الوظيفى فهو يعمل فى وظيفة لا تتناسب مع طموحاته وطاقاته، فضلا عن ذلك تعرضه إلى إحباط عاطفى حينما توفت زوجته وابنته فى شهر واحدعلى التوالى فعاش وحيدا، وتابع مسيرة حرمانه فى العوامة، فكلما اقترب من امرأة تصرخ فى وجهه "**لست بغيا**" فيعود إلى البغايا باحثا عن لحظة من اللذة.

وفيما يتعلق برواد العوامة الآخرين نلاحظ أنهم يجتمعون فى جلسة "الكيف" يثرثرون ووسط ضباب الحشيش، ومن خلال أحاديث الهلوسة يتطرقون لمختلف القضايا المجتمعية التى تؤرقهم، وليس انعزالهم هذا وانكفاؤهم على شرب الحشيش إلا تعبيرًا عن اغتراب المثقفين بعامة عن الحياة المحيطة بهم، وتلاقى أمزجتهم فى الانفصال عن حياة المجتمع، بعد أن غلبتهم السلبية ولم يصبح لهم دور فاعل فيه، فقرروا الانكفاء على ذواتهم وآثروا العزلة فى مواجهة الواقع. (محمد سيد أحمد، ٢٠٠٨، ٥)

وفى رواية "ربع جرام" استطاع الكاتب أن يقدم دوافع شخصيات الرواية للدخول فى دائرة الإدمان من خلال تجسيد رؤية واقعية أليمة لهذه الفئة من الشباب الذى تفتتت معالمه فى مجتمع سادت فيه قيم لا أخلاقية من نزوع إلى الاستئثار بالسلطة الاجتماعية وسطوتها داخل دهاليز المجتمع وأركانه المختلفة، ومساعى الكثير من الأفراد للوصول إلى مصادر المال بكل الطرق المشروعة، وغير المشروعة بعد سياسات الانفتاح الاقتصادى، وقد سعت العديد من العناصر الفاسدة لركوب الموجة، وتزايد الجهلاء ومدعى العلم والمعرفة، وسادت الفوضى والفساد وثقافة الفشل والإحباط لفئة من شباب كافح وعانى فى سبيل الفوز بمكان لائق بجهوده ومعاناته فإذا بخيبة الأمل تلاحقه من كل جانب، وفى المقابل نجد فئات أخرى من الشباب العابثة الماجنة تتخذ من المخدرات طريقًا لها، ناهيك عن حاجة بعض الدول إلى الهيمنة على مصائر هؤلاء الشباب وتفتيت عضدهم وأخلاقهم بكل السبل– وجدت طريقها مذللة أعماقهم ووجدانهم– مما ولد حالة من اللامبالاة والاستهتار والفساد فى دهاليز المجتمع وجنباته وبالتالى على فئات الشباب، وقد طرحت الرواية دوافع دخول هؤلاء الشباب فى دائرة الإدمان وكان أهمها:

أ- إهمال الأسر لرعاية أبنائها

تناقش الرواية حالة من حالات الغياب المجتمعى، تتمثل فى شخصية الآباء المنشغلين عن متابعة أبنائهم، فللأسرة دور رئيس فى علاقة الأبناء بالتعاطى، فإذا كانت العلاقة بين الآباء والأبناء يسودها التسيب أو الإهمال ازداد احتمال إقبال الأبناء على التعاطى، لذا فقد عانى صلاح من الاغتراب الوجدانى وانعدام الإحساس بالمسئولية وفقدان العاطفة منذ صغره مع عائلته، فعائلته لم تكتشف إدمانه إلا بعد أكثر من عشر سنوات، إضافة إلى القدوة السيئة من قبل الوالدين والتى تدفع الشباب إلى تعاطى المسكرات، وهذا ما أوضحته الرواية حينما ظهر والد صلاح وهو يحتسى الخمر هو وأصدقاؤه.

"كان فى بيتنا بار صغير ومن حين لآخر يزورنا أصدقاء الأسرة وبعض الضيوف الأجانب الذين يدرسون مع الوالد عشرات المشاريع الهندسية وخلال جلساتهم الطويلة يتناولون العشاء ويشربون البيرة أو الويسكى وكنت أتوسل بالدموع أن يسمحوا لى بأن أشرب البيرة، وكان فى رأى البعض أمام الدموع والنهنهة أن القليل منها لا يضر، كان يوم زيارة هؤلاء الأصدقاء بالنسبة لى يومًا جميلًا إلى أقصى درجة لأنه بعد خروجهم كنت أشرب وسكى كما أريد وأضيف الماء فى الزجاجة بدلا من الوسكى الذى شربته" (عصام يوسف، ٢٠٠٨، ٩)

وهنا يظهر بوضوح أن غياب الرقابة الأسرية يمكن أن يمهد الطريق لانحراف الأبناء فتجدهم ينتظرون فرصة غفلة الآباء ليمارسوا قدرًا من الحرية التى قد تؤدى بهم إلى التردى فى شرك الإدمان.

ب- مصاحبة رفقاء السوء

من بين العوامل التى تدفع للإدمان مصاحبة رفقاء السوء وهى تعد الحافز الأول على التجربة إذ يحاكى الفرد من يحيطون به وخاصة إذا ما وجد النموذج المنحرف والبيئة المضطربة. إن كثيرا من الجرائم يرتكبها المراهقون خاصة تقليدًا لأصدقائهم والرغبة فى الحصول على تقدير اجتماعى بينهم لذا فإن الفرد يجد من رفقاء السوء مجتمعًا يوفر له الشعور بالانتماء والإحساس بالثقة، خاصة إذا تلازم هذا مع الشعور بالفراغ الأسرى (ميس خليل عودة، ٢٠٢٠، ٧٦) ولقد عانى صلاح من رفقاء السوء وملاحقتهم له ودفعه إلى تعاطى كل أنواع المسكرات والمخدرات ثم السقوط فى هاوية إدمان الهيروين، وعن أول تجربة فى حياة البطل للهيروين وكانت بدافع من رفقاء السوء يذكر الكاتب فى الرواية" **اجتمعنا كلنا حول المائدة.. دقات الساعة تعلن السابعة رامى يلف السجاير وأحمد كعادته يقرأ الصحف، علاء شغله الشاغل الاطمئنان على زجاجات الخمور والبيرة المثلجة، حسين لا يتوقف عن الحديث عن الكرة، وصلاح يفتح الكوتشينة ويصل بهاء ويسبقه قدر هائل من الضجيج وقبل التحية أو السلام دخل مباشرة فى الحديث قائلا:**

- **بهاء: اسمعوا يا رجالة رأس السنة دى مش خمرة ولا حشيش.. مفاجأة.. الجديد.. البريمو.. سحر يا إكسلانس.. أنا معايا هيروين.. بودرة.. ربع جرام.**
- **رامى: بودرة؟!!! بتعمل إيه البودرة دى؟!**
- **صلاح: ويعنى هيعمل إيه الربع جرام دا يا بونو؟!**
- **بهاء: أنت مستهيف الربع جرام..**
- **دلوقت تشوفو الربع جرام دا هيعمل إيه**" (عصام يوسف، ٢٠٠٨، ٣٧)

ج- توافر المال بكثرة

إن توافر المال بكثرة فى يد الشباب يدفعهم إلى اللجوء للمخدرات كوسيلة ترفيهية (ميس خليل عودة، ٢٠٢٠، ص٦٨) حيث نجد أن جميع شخصيات الرواية نشأت فى مستويات مادية واجتماعية مرتفعة وأن الآباء يتميزون بالسخاء الشديد، أو فلنقل التبذير على أبنائهم، وفى لفتة سريعة توضح لنا الرواية هذا التدليل الزائد للأبناء وتلبية جميع رغباتهم والإسباغ عليهم بالأموال دون السؤال عن كيفية صرف هذه الأموال وأين تصرف وعدم الرقابة والمتابعة المستمرة للأبناء، كل ذلك يؤدى إلى اتكالية الأبناء وعدم إحساسهم بالمسئولية وعدم الشعور بقيمة المال، فمال كثير ومتوفر أينما أرادوا وقتما شاءوا وهذا بالطبع أسهم كثيرًا فى انحرافهم وفسادهم، فقد قامت أسر الشباب فى الرواية بشراء سيارات أحدث الموديلات عند دخولهم الجامعة إضافة إلى سفر صلاح إلى أمريكا والغردقة وعدة أماكن أثناء الإجازة الصيفية.

"شغلتنا قضية إقناع الأهالى بشراء السيارات.. وحققنا أحلامنا.. والد رامى حقق له حلم عمره واشترى له سيارة بى أم دبليو وأنا اشتريت سيارة جولف الموديل الجديد وأحمد اشترى سيارة فيات ١٣١ وحسين أخذ السيارة فيات ١٢٨ من والدته وعلاء اشترى بيجو ٣٠٥ وبهاء اشترى فيات ١٣٢.. كان عدد الشباب الذين يملكون سيارات خاصة بموديلات حديثة فى عمر ١٨ سنة قليلا جدًا يعدون على أصابع اليد الواحدة أو أصابع اليدين على أحسن الفروض" (عصام يوسف، ٢٠٠٨، ٦٧)

"كان نجاحى هو فرصتى أن أطالب أهلى بهدية النجاح: رحلة إلى أمريكا.. وللعائلة الكريمة أصدقاء هاجروا واستقروا هناك منذ سنوات وعاشوا فى مدينة أتلانتك سيتى واستمرت بيننا وبينهم المراسلات والاتصالات فى كل المناسبات وكثيرًا ما وجهوا لنا الدعوة لزيارتهم فى أمريكا.. وهكذا لم تكن مهمة إقناع الأهل صعبة فأنا نجحت والمعارف هناك من أعز الأصدقاء" (عصام يوسف، ٢٠٠٨، ٨١).

د- انتشار المواد المخدرة وسهولة الحصول عليها عن طريق التجار

يعد هذا العامل من أهم العوامل التى تؤدى إلى انتشار المخدرات انتشارًا سهلًا وميسورًا، إذ يحتوى المجتمع على فئة من التجار المفسدين الذين يحاولون إفساد غيرهم من أبناء المجتمع (ميس خليل عودة، ٢٠٢٠، ٧٠) لقد أشارت الرواية إلى غياب الرقابة المجتمعية عن تجار المخدرات مما دفع الكثيرين إلى بيع المخدرات بهدف الكسب المادى وهم على دراية بما تسببه من مخاطر نفسية، واجتماعية، واقتصادية للمتعاطين وأسرهم والمجتمع الذى يعيشون فيه.

كما أشارت الرواية إلى الدور الإسرائيلى فى نشر المخدرات فى المجتمع المصرى بعد معاهدة السلام، فأسعار كل شىء ترتفع ماعدا المخدرات، وجودة المنتجات فى مصر تنهار ماعدا المخدرات فالأصناف تزداد جودة، وقد أجابت الرواية عن ذلك بكل وضوح حيث ذكر الكاتب على لسان صلاح **"مشيت أنا وحسام بعد أن اشترينا فقلت لحسام:**

أنت عارف يا حسام إيه الحكاية؟

إيه الحكاية يا معلم؟

البودرة دى بودرة صهاينة البودرة دى من إسرائيل.

إسرائيل إيه يا عم أنت؟!

اسمع بس اللى باقولك عليه البودرة دى نزلت بالكميات دى، وبالرخص ده علشان الشباب يضرب بيها إنت شايف الزحمة عند غانم النهاردة كانت عاملة إزاى اللى ماضربش يضرب، واللى ضرب يضرب أكثر.. دى أرخص من الحشيش يا حسام".

مستحيل ينسوا حرب٧٣.. ضربناهم والنهاردة بيردوها لنا بيدمرونا وبيدمروا البلد دى حرب يا معلم. (عصام يوسف، ٢٠٠٨، ٣٩٠)

٣- وصف الروايتين لجلسات التعاطى وأنواع المخدرات وطرق وأماكن الحصول عليها

تعكس لنا رواية "ثرثرة فوق النيل" هذه الثرثرة التى يجسدها فعل المخدر فى العقول وهو تعبير عن أزمة انسحاق الإنسان بفعل هذا المخدر والذى يحتل فى عالم العوامة أحد أسلحة الدمار وعن جلسة التعاطى يشير الكاتب "**أعد المجلس كأحسن ما يكون صفت الشلت على صورة هلال كبير فيما يلى الشرفة، وفى نقطة من الهلال استوت صينية نحاسية كبيرة جمعت الجوزة ولوازمها وهبط المغيب فوق الأشجار والماء فانتشر فى الجو حلم هادئ وأبت أسراب الحمام البيضاء تطير ذراعا فوق النيل تربع أنيس وراء الصينية رانيا إلى المغيب بعينين ناعستين، متذوقًا بمودة رائحة الماء الدمسة وملامح الدنيا محافظة على هيمنتها بوجه عام ولكن عندما يسرى سحر الفص المذاب فى القهوة السادة فسوف تتغير الأشياء**" (نجيب محفوظ، ٢٠١٩، ١٦-١٧) ومن خلال السرد الذى جمع عالم الواقع وعالم الهروب منه يجسد نجيب محفوظ فى حوار الرواية بعض الجمل المألوفة فى عالم المخدرات وعالم المساطيل" المجمرة – المسطول- الجوزة- يكرز- يقرقر" معبرًا بها عن أزمة الإنسان مع نفسه وهروبه من واقعه إلى واقع الدخان الأزرق "**فقال مصطفى راشد محركًا تفاحة آدم وفضلًا عن ذلك فإن الدنيا لاتهمنا كما أننا لا نهم الدنيا فى شىء فقال زكى مادامت الجوزة دائرة فماذا يهمكم فرمقه خالد بإعجاب قائلا خدو الحكمة من أفواه المساطيل اسمعوا ما حصل فى اليوم مع المدير العام وأثارت حكاية قلمه عاصفة من الضحك حتى علق عليها على السيد قائلا بمثل هذا القلم تدون معاهدات السلام**".

فى هذا الحوار المعبر نجد نجيب محفوظ أدار فى عفوية وتلقائية ما يفعله المخدر والإدمان فى عقول الشباب من هوس وتعتيم وسخرية من خلال هذه الفكاهة التى استقاها من قلم أنيس زكى الذى كتب بدون حبر مما أثار عليه سخط المدير العام وسخرية زملائه وضحكهم.

وقد صور نجيب شخصية عم عبده الحارس الليلى للعوامة والذى يجلب المخدرات لروادها وهو يجىء لأنيس زكى بالكيف والمخدر وبفتيات الليل وفى نفس الوقت يؤذن للصلاة فى الزاوية التى تجاور العوامة، كما أنه يلعب دور القواد إلى طريق التيه الذى يمشى فيه كل رواد العوامة وعلى رأسهم أنيس زكى الذى يمثل الشخصية الرئيسية التائهة فى عالم العوامة كرمز للشباب الذين وقعوا فى براثن المخدر فاضمحلت قواهم الفكرية والثقافية والجسدية. (شيماء برباح، نجاة هماك ، ٢٠٢٠، ٣٨)

إذا تأملنا أنواع المخدرات التى طرحتها رواية ثرثرة فوق النيل فى مجتمع الستينيات نجد أنها الحشيش فقط ومع مرور الزمن تطالعنا رواية ربع جرام على أنواع جديدة من المخدرات أطلت على مجتمع

الثمانينيات والتسعينيات وقد ذكرها الكاتب بكل تفاصيلها وأنواعها، وما تحدثه من أثر فى مستخدميها، كما وصف طريقة التعاطى، وكيفية الإفاقة منها بطريقة ميسرة، ولمزيد من المصداقية والواقعية دخل الكاتب إلى عالم المدمنين وذلك من خلال الدقة المتناهية فى رصد تفاصيل حياة المدمن، ولم يغفل حتى عن استخدام الألفاظ والمصطلحات المتداولة بينهم، والتى لا يتعامل بها ولا يفهمها غيرهم، وقد أشار المؤلف إلى معنى تلك الألفاظ فى أسفل صفحات الرواية عن أنواع المخدرات التى أدمنها الشباب فى الرواية، وأثرها على المتعاطى، وكيفية الإفاقة منها:

- **الحشيش** وتسمى السيجارة الكبيرة منه (البوابة أو الجوينت أو التت أو الخابور أو المسلة) وعن تأثيره على المدمن بعد التعاطى: ومع القطرة البرزولين يضحك المتعاطى لأتفه الأسباب، ولا تتضح الرؤية أمامه والإكثار منه يبطل مفعول البودرة وعن الطريقة التى تستخدمها الشخصيات للإفاقة من أثر المخدر وضع قطرة برزولين والتى تخفى أثر احمرار العين ويحتسى المتعاطى سكريات – شيكولاتة – كولا لعلاج الهبوط.
- **البودرة** ويقال عن المغشوشة منها (السم أو الطفش) ولكى يصبح مفعولها أقوى يضاف عليها ليمونة ويتم حقنها بالوريد وعن تأثيرها على المتعاطى يشعر بالنشوة تتغير الألوان ومذاق الطعام– غثيان– القىء الشديد– الدوار الرهيب– تغير الشخصية– البلاهة – تعب إعياء– الضحك الهيستيرى– ارتكاب الرذيلة والجرائم بدون وعى. وعن الطريقة التى تستخدمها الشخصيات للإفاقة من أثر المخدر الاستحمام وعند زيادة الكمية يشرب المدمن ماء وملح، أو يتناول حبوب تريكسان بعد التعاطى بثلاثة أيام لأن تناوله قبل أن يتخلص جسم المتعاطى من أثر البودرة معناها الموت المحقق.
- **الماريجوانا** أقوى أثرا من الحشيش، كوكايين، **والماكس الأفيون، كودافيين** أخف أثرا من البودرة.
- **أقراص الفراولة** (كبسولة حمراء) يشعر المتعاطى بالابتهاج والانتعاش (الفرفشة الهادئة).
- **قرص أبو صليبة مع نوفاسى** ويطحنا يشعر المتعاطى بالعنف والعصبية والشر والإجرام ويفقد القدرة على التمييز، ويتصرف المدمن تصرفات طائشة.
- **البركينول** ويتناول المتعاطى من ثمانية إلى عشرة أقراص فى المرة الواحدة وعن أثره على المتعاطى يشعر بإحساس البلاهة والثقل كالفيل مع الإحساس بالجوع والسخرية وتغير الرؤية وعدم الاتزان واللامبالاة وجرعة زائدة تؤدى إلى الموت. ويذكر الكاتب عن تأثير البركيتول على صلاح وشلته.

"**وظهر تأثير البركينول علينا.. وفجأة مفعوله يتضح، وبدأنا نضحك بلا سبب.. نضحك ببلاهة على أى شىء وعلى كل شىء وبصوت ضعيف تكلم حسين:**

حد ييجى يسوق الفيل بسرعة... تعال سوق يا بهاء

هو ينفع أسوق وأنا قاعد ورا؟

طيب بصوا.. إحنا نركن العربية فى أى مكان ونأخذ تاكسى وبكرة نجيب الفيل.

تصدق ياصوصو إنك عبقرى.

ثم قال حسين هو الشارع كله فيلة واللا إيه؟!

قلت ساخرا وقال بهاء:

أنا جعان جدًا يا صلاح... عايز شاورمة (عصام يوسف، ٢٠٠٨، ١٢١-١٢٢)

- **إسيد أو المكس** (معروف عند المدمنين باسم **(كيف الحرامية)** يشعر المدمن بنشاط عال جدًا ولا يستطيع المدمن النوم لمدة ثمانية وأربعين ساعة.
- **البانجو**.. يعطوه للجمال فى السودان لتهدأ ويشعر المدمن بالغباء وضيق الأفق وبطء التفكير والتوتر العصبى وتدمير خلايا المخ وعن تأثير البانجو على المدمن يذكر الكاتب على لسان صلاح "**لاحظت أن نسبة كبيرة من الشباب تدخن البانجو الذى سيطر على السوق، فهو يشبه الماريجوانا مع الفارق أن الماريجوانا (تلوح- تسطل).. ورأى أن البانجو مخدر يجعل الإنسان غبيا إلى أقصى درجة، ضيق الأفق، بطىء التفكير.. وبعد سيجارتين بانجو، كنت أشعر بالتوتر، وأننى عصبى جدًا فقد أحسست أن مخى توقف، وأننى لا أفهم ماذا أقول**" (عصام يوسف، ٢٠٠٨، ١٥٦)

وقد ورد فى الرواية بعض التعبيرات (العامية) الشائعة عند المتعاطين ومعناها فيما يلى:

- **قرش – نص- ربع- حتة- وقية** وتعنى وزن الحشيش عند المدمنين، **ورق البفرة** وتعنى الورق الذى تلف فيها سجائر المخدرات، **بوية- خابور- مسلة- جونيت** وتعنى سجائر المخدر، **السطل** وتعنى الدوار وعدم التركيز عند المدمن، **الضرب** وتعنى أخذ المخدر وشم البودرة، **النفس** وتعنى أخذ المخدر من سيجارة أو نحوها، **مضروبة** وتعنى مخدر غير أصلى، **عمل دماغ** وتعنى أخذ المخدر وشم البودرة، **إدمان** وتعنى المداومة المستمرة للتعاطى، **السوستة** وتعنى حقن المخدر، **الشكمانات** وتعنى الشم، **أوفر دوز** وتعنى أخذ كمية كبيرة من المخدر، **يلحس الدماغ** وتعنى يدمرها، **الديتوكس** وتعنى غرفة عزل المدمن بالمستشفى، **لوكشة** وتعنى كمية كبيرة، **السفينة** داخلة وتعنى المخدرات قادمة إلى مستشفى العلاج، **دولاب** وتعنى بيع المخدرات، **الغرزة** وتعنى مكان شرب المخدرات.

ومما لاشك فيه أن استخدام الكاتب لنفس اللغة المتداولة والألفاظ التى لا يستخدمها ولا يدركها غير المدمنين قد أضفت انعكاسًا واقعيًا ومصداقية أكبر للرواية والتى تجعل القراء أكثر قربًا من هذا العالم الذى يتعرف عليه لأول مرة، وما يترتب عليه من تأثير على القراء سواء بالسلب أو الإيجاب.

وقد تعددت أماكن بيع المخدرات – التى أوضحها الكاتب بإسهاب – الباطنية– شارع عبد العزيز – الدويقة– كوم السمن– مصر القديمة– الجعافرة– العتبة– السيدة زينب– الأزهر– الحسين– الكيت كات– مصر الجديدة– السويس– سيناء– اتلانتك بأمريكا.

وعن الطرق التى سلكها المدمن فى سبيل الحصول على الأموال لشراء المخدرات كانت السرقة والإجرام وترويج المخدرات، وعن ذلك ذكر البطل "**لقد سلكت كل الطرق وفكرت أكسر باب غرفة أمى، يا إلهى هل وصل بى الحال إلى هذه الدرجة؟ أسرق إزاى، وأسرق إيه ومين، مرة طبق فضة، مرة فيديو، مرة ساعة، مرة سجادة من المخزن، مرة أنبوبة بوتجاز.. أى شىء. يمكن بيعه، وفى يوم أخذت بدلتين من بدل بابا الشتوى، وقررت أنا وحسام بيعهما فى الحسين**" (عصام يوسف، ٢٠٠٨، ٣٥٩)

٤- صورة المتعاطى والمدمن كما طرحتها الروايتان

تعتبر رواية "ثرثرة فوق النيل"من الأعمال الروائية التى كان المخدر فيها هو المحرك للأحداث والمهيمن على تصرفات الشخوص فيها، حيث يقدم الكاتب فيها صورة فئة من المصريين يعيشون حياة العبث واللامعقول، فيهم النجم السينمائى، والناقد الفنى، والأديب البرجوازى، والمحامى المخضرم، والموظف والموظفة... وهى شخصيات تجتمع كل ليلة فى عوامة النجم السينمائى (رجب القاضى)، ليس لها اهتمام بأى شى فى الحياة سوى الإدمان وحياة اللهو والمجون وممارسة الرذيلة (شيماء برباح، نجاة همالك، ٢٠٢٠، ٦) أما صورة بطل الرواية والشخصية الرئيسية فيها فهو غارق فى همومه حتى يبدو أحيانًا كمجنون يعانى من الحزن والهم الذى يعيشه نتيجة فقدانه لزوجته وابنته إثر مرض أصابهما، فجاء على لسان الراوى وصف حالته بقوله "**ما رأيت فى عينيك إلا الاحمرار والظلام والثقل**" فهذا الحزن جعل منه مدمن الكيف وشخصًا عابثًا فاقد الأخلاق والمبادئ، فيصف هو نفسه "**كلنا أوغاد لا أخلاق لنا يطاردنا عفريت مخيف اسمه المسئولية**". وهو كذلك شخص فى معظم الأحيان ساكت وهذا السكوت يعبر عن الألم الذى عاشه فنجد وصف الراوى له بقوله "**لا تسئ الظن بسكوته إذا لم يحادثك كثيرا يهيم فى الملكوت**" وعلى مستوى عمله يعانى من إحباط وظيفى لأن عمله لا يؤدى نتائج إيجابية لفرديته، لذا يلجأ إلى المخدر، ولكنه حتى تحت تأثير المخدر لا يرحل إلى عوالم سعيدة، بل يتعمق فى أزمته داخل نفسه وصف أنيس زكى حالته تحت تأثير المخدر "**عيناى تنظران إلى الداخل لا إلى الخارج كبقية عباد الله**" (سهيل إدريس، ١٩٨١، ٣٨)

أما عن صورة بطلة الرواية والشخصية الرئيسية فيها "سمارة بهجت" فهى فتاة جادة غير عابثة ولا فاقدة للأخلاق، كما أنها ترفض تعاطى الكيف والجوزة بأسلوب لبق، فجاء وصفها على لسان الراوى "**وبلباقة لم تخص سمارة الجوزة بأى نظرة تنم عن شىء**"، كما أنها تملك مشاعر صادقة وترفض أن

تجرح هؤلاء المدمنين وهى كذلك تقاوم إغراء النجم السينمائى رجب القاضى لها ولا تستجيب له وهذا جاء فى وصف الراوى "**لم تقاوم لكنها لم تستجب وتحدجه بنظرة ساخرة باردة**".

وفيما يتعلق بالشخصيات النسائية الثانوية فى الرواية فنجد أنها متجردة من الأخلاق وعابثة ومدمنة فمثلا سنية كامل تتعاطى المخدر وتمارس الرذيلة لتنسى همومها وحزنها وتعيش فى غيبوبة تامة كما وصفها المؤلف، الشخصية الثانية سناء الرشيدى تهرب من الواقع من خلال تعاطيها للمخدر وتقيم علاقة مع النجم السينمائى رجب القاضى، الشخصية الرابعة ليلى منحلة ومدمنة تعيش حالة الوهم مشاعرها متغيرة أحيانًا تكون حزينة وأحيانًا سعيدة وتحمل مشاعر حب لصديقها خالد عزوز. (محمد الخلابة، ٢٠١٣، ١١٨)

وعن صورة الشخصيات الثانوية الذكورية فى الرواية (مصطفى راشد– على السيد– رجب القاضى– أحمد نصر– خالد عزوز) جلهم يعيشون حالة العبث والانحلال وخواء النفس وفقد المسئولية وممارسة الرذيلة ويلجأون للإدمان كنوع من الهروب من إحساس التفاهة، والتعاسة الخفية. (محمد الخلابة، ٢٠١٨، ١٢٤)

وإذا تطرقنا إلى صورة الشخصيات فى رواية ربع جرام سنجد صلاح بطل الرواية والشخصية الرئيسية ورفقته (أحمد– حسين–رامى–بهاء–علاء) من أبناء الطبقة العليا المنتمين إلى عالم ما بعد الانفتاح الاقتصادى وما رافقه من صعود غير مسبوق لطبقات جدد تمكنوا من استغلال الفرص التى أتيحت لهم.

هم طلاب فى مدارس لغات باهظة التكاليف، يعيشون حياة منفلتة بعيدًا عن رقابة الأسر المنشغلين بأحوالهم، إضافة إلى وفرة المال بين يديهم. كانت سيجارة الحشيش هى الخطوة الأولى لدخولهم عالم الإدمان إضافة إلى احتساء البيرة والخمر فى فترة لاحقة.

لظروف النشأة وطبيعة المرحلة العمرية، تشارك الأصدقاء الخمسة سلوك دروب اللهو و(الكيف)، فلا يعترضهم نوع من أنواع المخدرات حتى يقوموا بتجربته. كان الحشيش هو المخدر الرئيسى الذى يتناوله الأصدقاء – على اختلاف إصداراته – بجانب الأنواع المختلفة من الخمور، والأدوية الكيميائية (الباركينول – الترامادول)، وبالطبع لكل واحد منهم صديقة تحبه وتحافظ على علاقتها به – على تفاوت عمق تلك العلاقة – وبعضهم له أكثر من صديقة مثل صلاح بطل الرواية ظلت الأمور على هذا المنوال حتى جاءت احتفالية رأس السنة. وفى تلك الليلة بدأ الأصدقاء على استحياء تجربة الهيروين عن طريق الشد (الشم) ولم يدركوا ماهيته فى البداية، ثم بدأوا فى تعاطيه ولكن على فترات متقطعة، ولم يتحول الأمر إلى إدمان، أو كما يذكر صلاح "**البودرة تحت السيطرة**" وظل هذا السلوك المشترك لهم جميعًا،

حتى أدمنوا جميعًا "**أنا وقت ما أحب أبطل هبطل**" لكن الأمر متفاوت معهم، فالبعض سقط فى الهاوية والبعض امتنع تماما بعد حادث كبير حدث له..

٥- الآثار السلبية الناجمة عن التعاطى كما طرحتها الروايتان

إذا ألقينا النظر على الآثار السلبية التى نتجت عن تعاطى وإدمان المخدرات على شخصيات الروايتين سنجد أن هؤلاء المثقفين فى رواية "ثرثرة فوق النيل" ظلوا فى هذيانهم حتى تغيرت فى يوم من الأيام حياتهم ذات مساء حينما قرر الأصدقاء القيام برحلة قصيرة بالسيارة فى الصحراء وبسبب تأثير المخدر والسرعة الجنونية فقد السائق "رجب القاضى" قدرته على التحكم فى سيارته فدهم أحد المشاة كان يعبر الطريق فى الظلام وهرب رجب ومن معه وعادوا مرة أخرى إلى العوامة، وفى هذا اليوم تشاجر أنيس مع رئيسه فى العمل ففصله، وفى الوقت ذاته، بعد حادثة السيارة هذه ضاعت الألفة والانسجام الذى جمع بين الأصدقاء، ثم نشب صراع عنيف بينهم، هل يبلغون الشرطة بأمر الحادثة أم لا؟ ينتفض أنيس زكى ويعلن أنهم قتلة ويلقى الجوزة والكراسى والمعسل فى النيل. إن هذه الجريمة التى ارتكبها رواد العوامة كانت من الآثار السلبية لإدمانهم المخدر وفى الوقت نفسه أيقظتهم من براثن المخدر والتيه والسلبية وقد اتفقوا جميعًا على ألا يبلغوا الشرطة عن هذا الحادث، وكان لسمارة رأى آخر واعترف "على السيد" بأن هذا الإثم كفيل بأن يحملنا على إعادة التفكير فى كل شىء وبينما تراجعت سمارة عن تبليغ الشرطة يصر أنيس على التبليغ عن الجريمة. (شيماء برباح، نجاة هماك، ٢٠٢٠، ١٢)

وفيما يتعلق بالآثار السلبية للإدمان على شخوص رواية "ربع جرام" فنجد أنها عانت من متاهة المحنة، وتحولت حياتهم إلى جحيم حقيقى ولم يكن يدور بعقلهم ماذا سيفعل بحياتهم هذا الربع جرام.. وبحياة عائلاتهم... بشخصياتهم.. بعلاقاتهم.. بكل شىء. ربع جرام أوصلهم إلى الإدمان.. إلى بيع ما يملكون وما تملك عائلاتهم حتى من أثاث البيت لتأمين ثمن البودرة.. ربع جرام أوصلهم إلى معرفة وزيارة جميع الغرز التى تبيع المخدرات.. إلى اعتلال الجسد والشحوب، نقص الوزن، والهزال الشديد، ويتحدث البطل عن حالته بعد أن حاول الإقلاع عن الإدمان أول مرة "**بدا الأمر وكأننى مريض الآلام فى جسمى من الصعب وصفها مغص إسهال، لا أستطيع النوم، لم تعد عندى شهية للأكل نهائيًا، فقدت الإحساس بالتذوق المشكلة فى دماغى، كأن هناك قردا أو نسناسا ينط فى رأسى كل خمس دقائق، صداع، بطنى تؤلمنى، عرق مستمر، إحساس قوى بالبرد**" (عصام يوسف، ٢٠٠٨، ٢٥٧) ومن الآثار السلبية الأخرى أنه تم القبض على رامى أحد أعضاء الشلة ومعه اثنا عشر جراما ورامى والده لواء فى الجيش خاض أكثر من حرب وعاد منها بطلا، ولكنه انهزم أمام حرب المخدرات، وقد حاول مع ابنه أكثر من مرة ليتوقف عن الإدمان، ولكنه حين بلغه نبأ القبض على ابنه ومعه كل هذه الكمية، إنها قضية اتجار وليس

مجرد تعاط لم يحتمل قلبه هذه الصدمة وتوفى بعد ثمانية وأربعين ساعة فى لحظة مؤثرة من الرواية. كما أدت البودرة إلى موت "بهاء" رفيق صلاح وأحد أعضاء (الشلة) ويذكر الراوى هذه الواقعة **بقوله "تمر الأيام وكل شىء جميل إلى أن استقبلت مكالمة من ميدو صلاح جاء بصوت ضعيف وسمعت بكاء فسألته مالك ياميدو بهاء يا صلاح مات... خلاص استريح.**" (عصام يوسف، ٢٠٠٨، ٦٥١) علاوة على ذلك كان من آثار الإدمان تعرفهم على جميع أنواع المخدرات من كوكايين–أبو صليبة – كبسولة فراولة... وغيرها، بدأ صلاح يشترى البودرة ويبيع لأصحابه بضعف الثمن حتى يحصل على المبلغ الذي يساعده لشراء ما يكفى للتعاطى ثلاث أو أربع مرات فى اليوم ثم لجأ إلى سرقة أموال، مقتنيات المنزل، مقتنيات الغير، وأيضًا أموال الشركة التى يعمل بها "ويشير الراوى إلى ذلك" **لقد وضح لى أن لاشىء عندى غال أو عزيز وأننى أصبحت مثل أصحابى الذين كنت أطلق عليهم المدمنين، قبل هذا اليوم كنت أرى نفسى غيرهم لكن أصبح واضحا كالشمس أننى مثلهم وأننى لا أستطيع الرجوع.. سرقت خاتم بنت عمى الماسى يوم فرحها يا نهار أسود يا صلاح غاب الضمير مات الضمير أنت أدمنت فعلا"** (عصام يوسف، ٢٠٠٨، ٢٨٩)

ومن الآثار التى لفتت إليها الرواية فكرة أن المخدرات لا تسمح للمدمن أن يغذى وجداته بحب حقيقى وبحلم نقى، فالمخدرات لا تجعل مدمنها يؤمن أصلا بالعفة والصدق والنقاء، فتتقلب به الأهواء والمشاعر، فيشعر بالغربة الوجدانية فى حياة ملؤها الصخب والمجون.

إن الاغتراب الوجدانى وانعدام الإحساس بالمسئولية لدى بطل الرواية هنا جعله يفتقد إحساس الحب الحقيقى فى العلاقة مع المرأة، أعقبه الفشل فى الحب، وهذا ما جاء على لسان بطل الرواية صلاح مع رندا زوجته – **التى تزوجها عرفيًا– يكشف ملمح تلك المحنة" التقيت مع راندا، وكان اللقاء ساذجًا، وأمسكت يدى وظلت تقول أنا مراتك وحبيبتك ومأقدرش أعيش من غيرك أبدًا، وفجأة انفجرت وقلت لها.. أنا بأخد بودرة وأنت السبب، وجدتها فرصة أعملها شماعة" ثم تتوالى حكاياته الوجدانية الفاشلة، كانت هالة شخصية ملتزمة محافظة رفضت واقعه المؤلم "أنا مابقتش أثق فيك وعمرى ماهأثق فيك من فضلك إبعد عنى وسيبنى فى حالى الموضوع بينا إتقفل خلاص**" (عصام يوسف، ٢٠٠٨، ٢٧٣، ٢٧٤–٢٧٥) فرضت المخدرات على البطل جبروتها، جعلته فى محنة نفسية جسدية قاسية حتى مع وجدانه.

وإذا تأملنا الآثار الأخرى التى طرحتها الرواية وهى عدم انتماء المدمن للمجتمع أو الوطن، فلا تهمهم الأحداث الاجتماعية أو السياسية، بل يسخرون منها ويذكر البطل عن تلك الواقعة "**ولن أنسى كيف مرت بنا أحداث الأمن المركزى.. حقا لم أتوقف للمظاهرات وأحداث الشغب من بعيد، فصدرت قرارات حظر التجول بطول البلاد وعرضها، وفى تلك الأيام، كنا أسعد ناس وكأننا نملك القاهرة نتجول**

فى شوارعها بسيارة صديق والد رامى، وهو من الشخصيات المرموقة ولديه تصريح خاص، كان لواء... أيام الحظر كانت مختلفة وجميلة بالنسبة لنا نخرج كما يحلو لنا فى كل الأوقات ونتجول فى كل مكان نقضى ليالينا فى أحد الفنادق الكبرى على البار وذات يوم قررنا أن نذهب إلى غرزة فى مصر القديمة، ولم نجد أحدًا، نحن فقط يا سلام ضرب بمزاج عالى" (عصام يوسف، ٢٠٠٨، ١٧٢)

وفيما يتعلق بالآثار التى تعانى منها أسر مدمنى المخدرات تتمثل فى التصدع والانهيار النفسى والاجتماعى والبحث عن حلول من أجل استمرارية الحياة الأسرية حيث تعانى أسر المدمنين من مشكلات جمة فى مقدمتها افتقار تلك الأسر إلى آليات التعامل مع الأبناء المدمنين ولقد عانت أسرة صلاح بطل الرواية من إدمانه، فحين علمت الأم بنبأ إدمان ابنها أرسلته إلى أمريكا عند شقيقها لكى يبتعد عن الإدمان، ثم سافر إلى الحج بمعونة الأخ الأكبر لعلة يتوقف عن التعاطى، وعاش أياما فى جو دينى روحانى ولكنه انتهى بمجرد انتهاء الشعائر ورؤيته لأحد المدمنين فى مدينة جدة وعاد كما كان قبل بداية الحج وكأن شيئا لم يكن. وحينما علم الوالد بإدمان صلاح حاول إقناعه بالعلاج والعدول عن التعاطى ولكن كل محاولاته باءت بالفشل. وعن حالة التصدع والحالة النفسية التى عانت منها أسرة البطل ذكر صلاح "**دخلت رولا وقد ارتسم الرعب على وجهها، وقفل والدى الباب بالمفتاح وعدت إلى غرفتى، وجلست على سريرى وبعد خمس دقائق جاء كريم، ومن بعده وصلت أمى التى انهارت على أقرب كرسى، وجلست رولا بجانبها تبكى بصوت عال، وأسند كريم رأسه بين كفيه، وظل والدى يروح ويجىء، ولا يستقر فى مكان وتحدث صلاح أنا تعبان أوى، عايز أضرب مش قادر بموت، رد الوالد إحنا لازم نروح المستشفى، رد صلاح: المستشفى لا، أى حل تانى**" (عصام يوسف، ٢٠٠٨، ٤٢١)

وبعد أن يئست أسرة صلاح من محاولات الشفاء خارج المستشفى إضافة إلى رفضه العلاج داخلها تخلت عنه وطردته، ولم يجد مالا أو مآوى سوى شقة صديقه الخاوية إلا من موكيت عل الأرض، ليس بها كهرباء وبعد أن أنهكه التعب بعد يوم عصيب نراه مناجيا نفسه مراجعا إياها "**جلست على الأرض، وظهرى للحائط، وجعلت ذراعى وسادة ونمت على الأرض، والشريط كله يدور أمامى، من أين جئت؟ المشوار بعيد وشعرت بالبرد الشديد، وكان الحل الوحيد أن أنكمش وأقترب بركبتى من صدرى فى محاولة يائسة وفاشلة لاكتساب الدفء إننى خائف فلان مات فى هذه الشقة "أفردوس" والظلام دامس إنها ليلة من أبشع الليالى خسرت فيها الكثير خسرت أهلى خسرت مريم نمت من التعب والإجهاد المشوار طويل والإحساس بالضياع لم أشعر بثقله مثلما شعرت تلك الليلة**" (عصام يوسف، ٢٠٠٨، ٢٨٩)

٦- وسائل العلاج نهاية الرحلة من متاهة الإدمان كما طرحتها الروايتان

قدمت الروايتان نهاية رحلة الخروج من آتون المخدرات واختلفت النهايات حسب الزمن الروائى لكل منهما، ففى رواية "ثرثرة فوق النيل" تنتهى الرواية مع يقظة أنيس الكاملة وتحرره من أسر المخدر وبذلك يتساوى مع سمارة ويصبح مؤهلًا لدعمها فى اتخاذ القرار المطلوب أو لمجابهتها فى حال تخلفها عن ذلك، ثم تقدم لنا الرواية حلم أنيس الذى قدم لنا رؤية كاملة للتخلص من فعل المخدر وهى:

- ضرورة العودة إلى الروح الدينية الصحيحة وأخلاقياتها للقضاء على الآفات المستشرية فى المجتمع ومنها المخدرات والسرقة والزنا.
- ضرورة العودة إلى الريف، إلى ينبوع الأصالة المحلية البعيدة عن زيف المدينة.
- ضرورة التحلى بشراسة المقاومة وعدم السقوط أمام الكثرة المناوئة.
- شعور أنيس العميق بالمسئولية، فقد أشار إلى مسئولية القتل "فصدمنا رجل".
- تحجر رواد العوامة فى مواقعهم وعدم إمكانية قيامهم بأى دور طليعى، فهم سيداومون على تناول المخدر إلى حين اعتبارهم مرضى ينبغى علاجهم (سهيل إدريس، ١٩٨١، ١٢٣).

وإذا دققنا النظر فى رواية "ثرثرة فوق النيل" سنلاحظ أنها طرحت قضية الإدمان ولم تحاول وضع حلول لها، فى حين أن رواية "ربع جرام" لم تكتف بعرض المشكلة فقط، ولكنها أشارت إلى الحل وذلك بالتعافى من خلال الإرادة والعزيمة وأن هناك أملًا فى حياة جديدة أفضل بدون إدمان.

ففى نهاية الرحلة استطاع الكاتب أن يخرج البطل "صلاح" من آتون المحنة إلى آفاق الحرية، إلى الحل، إنها إرادة الحياة، إرادة تغيير الواقع المأساوى إلى آفاق النجاح، فيقول بعد معاناة الدخول للمستشفى التى اصطلح على تسميتها فى أوساط المدمنين "سويسرا" وفى المستشفى يذكر بطل الرواية **"لم أنم طوال الليل، وأخذ يفكر فى كل ما مر به مر فى عقلى شريط الضرب كله منذ بدايته وبتلقائية يجد نفسه يدعو يارب يارب ساعدنى وبعد قليل يسمع أذان الفجر فيقول: أول مرة أسمع أذان الفجر بهذا الجمال، أول مرة أركز فى كل كلمة"** (عصام يوسف، ٢٠٠٨، ٤٩١)

تحدث الكاتب عن إمكانية الشفاء، وذلك من خلال الجمعيات الخاصة بالمساعدة على التخلص من هذا الوباء (زمالة المدمنين المجهولين) وهى جمعية تم تكوينها من مجموعة من المدمنين القدامى الذين تعافوا ولها برنامج اثنى عشر خطوة- ذكرها الكاتب- يتبعها المدمنون المرضى ليقلعوا عن المخدرات، ويعرض لنا الكاتب اجتماعات أعضاء تلك الزمالة والتى عادة تبدأ بأن يعرف الشخص نفسه بأنه مدمن، وذلك قبل أن يتحدث عن مشاعره أو قصته التى يشاركها مع زملائه فيمكن لأى شخص لديه الرغبة فى الامتناع عن تعاطى المخدرات أن يكون عضوًا فى زمالة المدمنين المجهولين، إذ إن العضوية

ليست مقتصرة على مدمنين يتعاطون مخدرًا معينًا، فكل ما تركز عليه زمالة المجهولين هو التعافى من الإدمان والامتناع الكلى عن جميع المخدرات وليس على مادة مخدرة معينة، قدمت لنا الرواية من خلال أحداثها الاجتماعات التى كانت تعقد بشكل دورى ويحضرها عدد من المتعافين والمدمنين الذين يطمحون إلى التعافى، كما سلطت الضوء بشكل واضح على مدى أهمية تلك الاجتماعات، وما تتركه من أثر إيجابى كبير فى نفس كل مدمن ومتعاف يحاول الحفاظ على تعافيه وعدم السقوط والانتكاس مرة أخرى.

وخلال أحداث الرواية نجد أن صلاح يحضر الاجتماعات بصورة منتظمة ويتقابل مع مشرفه حاتم الذى يوجهه إلى البرنامج المكون من أثنتى عشرة خطوة وعن هذه الاجتماعات يحدثنا بطل الرواية" **صلاح مدمن أنا مخنوق جدًا من المستشفى خلاص زهقت، أنا دخلت من ٢٠ يوم، أنا عايز أخرج بسرعة، أنا حاسس إنى مبطل لأنى جوة المستشفى عايز أخرج، وأجى الاجتماعات هنا أحضر زى زيكم أنا فعلا مش عايز أضرب تانى (عصام يوسف، ٢٠٠٨، ٥٢٠)**

وبعد المعاناة التى عاشها صلاح وأسرته يشفى البطل ويصل لأعلى المناصب ويذكر صلاح شعوره بعد تخطيه مرحلة العلاج "**أول حاجة أنا عايز أعرف مين اللى قال إن زمن المعجزات انتهى؟ ييجى يورينى نفسه معجزة يا ساتر يارب على دى رحلة وكل ما نشوف حد ضارب، أعرف أد إيه ربنا بيحبنى أنا مش عارف أوصف سعادتى ولا أوصف شعورى، فعلا أنا كنت فى حرب مرعبة وربنا سترها معايا**" (عصام يوسف، ٢٠٠٨، ٦٣١)

ثم يصف وقع شفائه على المجتمع من حوله فيذكر"**أمى رجعت جامعتها، ورولا بطلت تعيط، وبابا مبسوط وسعيد، وكريم أخويا النهارده فخور بصلاح دلوقت بشتغل، وبآخذ مرتب ونجحت فى شغلى وأثبت نفسى فى وقت قياسى كل الوعود إلى وعدها البرنامج وعدها لينا بتتحقق**" (عصام يوسف، ٢٠٠٨، ٦٣٢)

الخاتمة وأبرز النتائج

فى الجزء الأخير من الدراسة ستحاول الباحثة جمع أطراف الصورة بشكل عام فى ضوء المعطيات التى قدمتها الدراسة من خلال روايتين تعرضتا بشكل مباشر إلى قضية المخدرات ومن خلال الإطار النظرى الذى تبنته الدراسة، وفى ضوء الإجابة على تساؤلات الدراسة توصلت الباحثة إلى عدد من النتائج يمكن عرضها على النحو التالى:

- توصلت الدراسة إلى قدرة الرواية المصرية على تناول قضية التعاطى والإدمان عبر فترتين زمنيتين فى تاريخ المجتمع المصرى، من خلال روايتين مهمتين تناولتا قضية المخدرات وهما (ثرثرة فوق

النيل، وربع جرام) وهو ما يثبت المقولة النظرية التى أشار إليها لوكاش من أن الأعمال الأدبية تعتبر بمثابة وثيقة تاريخية تعكس كل الحياة الاجتماعية وظواهرها.

- توصلت الدراسة من خلال تحليل مضمون الروايتين اللتين تناولتهما الدراسة بالتحليل من منظورهما الخاص ووفقًا للإطار الزمنى للروايتين إلى صورة المدمن وسماته ومراحل الإدمان المختلفة وأسبابه التى انتشرت داخل المجتمع، كما استطاعتا أن تعرضا لنوعين من المدمنين: الضعيف الذى يقع فى براثن الإدمان ولا يقوى على الإقلاع عنة فيسقط ضحية لإدمانه، والآخر الذى يستطيع بقوة الإيمان والعزيمة أن يتخلص من الإدمان ويتعافى منه ويستطيع النجاح فى حياته ومستقبله.
- هناك عدة أسباب تدفع بالفرد إلى الوقوع فى براثن الإدمان كما أوضحتها رواية "ثرثرة فوق النيل"، وهى الشعور بالاغتراب وخاصة اغتراب المثقفين بعامة عن الحياة المحيطة بهم، وتلاقى أمزجتهم فى الانفصال عن حياة المجتمع، بعد أن غلبتهم السلبية ولم يصبح لهم دور فاعل فيه، فقرروا الانكفاء على ذواتهم وآثروا العزلة عن مواجهة الواقع.
- كما أشارت نتائج تحليل رواية ربع جرام إلى أن من الأسباب الرئيسية لوقوع الفرد فى دائرة الإدمان وهوة الانحراف غياب الرقابة الأسرية والقدوة السيئة للآباء، إضافة إلى رفقاء السوء وكثرة المال وهذا ما أكدته دراسات المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، فى دراسات عديدة أهمها دراسة "تناول الدراما التليفزيونية لقضية تعاطى وإدمان المخدرات، (آمال كمال، ص١٢٢، ٢٠٠٥)، ودراسة تناول الدراما التليفزيونية لظاهرة تعاطى وإدمان المخدرات مسلسل تحت السيطرة نموذجًا (إحسان سعيد، ص٥٨ ، ٢٠١٦) ودراسات مركز الدراسات والبحوث جامعة نايف فى بحثه عن المخدرات والعولمة وأيضًا ما قدمه عبد اللطيف عثمان من دراسات وآراء حينما أشار إلى نفس الأسباب الأكثر شيوعًا (أميرة عزقول، ٢٠٢٢، ٧٧) والتى تؤدى إلى الإدمان وهذه النتيجة تتفق مع المسلمة النظرية التى تبنتها الدراسة وهى أن الأدب عاكس للحقائق أو الوقائع الاجتماعية التى يعايشها الأديب.
- أشارت نتائج الدراسة إلى أن وظيفة الأدب وفقًا لنظرية الانعكاس تتمثل فى التنوير والتحفيز، وتحريك الإنسان ليسهم فى تغيير واقعة الاجتماعى نحو الأفضل، وهذا ما استخلصته الروايتان من خلال بطلى الروايتين فأنيس ثار على الإدمان واتجه إلى تحمل المسئولية وترك عمله الذى يبغضه، وصلاح أقلع عند الإدمان واتجه إلى بناء حياته ومستقبله.

المراجع

أحمد، محمد سيد، (٢٠٠٨). عدمية المثقف وعبثية الواقع، قراءة فى ثرثرة فوق النيل، مركز نماء للبحوث والدراسات، ص٥.

إدريس، سهيل (١٩٨١). المثقف بين الحلم والتغيير والإحباط، قراءة بنيوية "ثرثرة فوق النيل" مجلة الآداب، عدد ٥-٦، ص٣٨.

الخلابة، محمد، (٢٠١٣) قراءة فى رواية ثرثرة فوق النيل لنجيب محفوظ، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل للعلوم الإنسانية والإدارية، عدد٢، ص١١٨.

المرجع السابق، ص ص١٢٣-١٢٤.

بدوى، محمد على (٢٠١١). علم اجتماع الأدب، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص١٣٠.

بدوى، محمد على المرجع السابق، ص١٣١.

برباح، شيماء، هماك، نجاة (٢٠٢٠). بنية الشخصية والمكان فى رواية ثرثرة قوق النيل، رسالة ماجستير، جامعة محمد بوضياف المسيلة، كلية الآداب واللغات، الجزائر، ص٦.

المرجع السابق، ص١٢.

برباح، شيماء، هماك، نجاة، مرجع سبق ذكره، ص٣٨.

بوزيدانى، فريدة (٢٠٠٩). دروس فى نظريات الأدب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر. www.ensbz

حجازى، عزت (٢٠٠٧). التحليل الكيفى فى البحث الاجتماعى، المجلة الاجتماعية القومية، المجلد الرابع والأربعون، العدد الثالث، سبتمبر، ص ص ١-٢.

حركة، أمل، (٢٠١١). دراسات فى علم اجتماع الأدب، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠١١، ص٣٧.

خليل، ميس، الأمن الاجتماعى ودورة فى الحد من ظاهرة المخدرات، قراءة فى رواية "لا تنسى الهدهد" مجلة لغة الكلام، المجلد ٦، العدد ١، جامعة النجاح، فلسطين، ٢٠٢٠، ص ص ٦٧-٦٨-٧٠.

سعيد، إحسان، (٢٠١٦). تناول الدراما التليفزيونية لظاهرة تعاطى وإدمان المخدرات: مسلسل تحت السيطرة نموذجًا، المجلة القومى لدراسات التعاطى والإدمان، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، مجلد ١٣، عدد٢، ٥٨.

عودة، ميس خليل، (٢٠٢٠). الأمن الاجتماعى ودوره فى الحد من مظاهرة المخدرات، قراءة فى رواية "لا تنسى الهدهد"، مجلة لغة الكلام، المجلد ٠٦، العدد ١، جامعة النجاح، فلسطين، ص٦٧.

المرجع السابق، ص٦٨.

عزقول، أميرة، (٢٠٢٢). الصورة الذهنية لإدمان المخدرات فى الدراما التلفزيونية "دراسة تحليلية"، حوليات آداب عين شمس، عدد إبريل – يونيو، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ص٥٣.

المرجع السابق، ص٧٧.

كمال، آمال، (٢٠٠٥) تناول الدراما التليفزيونية لقضية تعاطى وإدمان المواد النفسية، المجلة الاجتماعية القومية، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، مجلد، ٤٢، عدد ٣، ٢٠٠٥، ص١٢٢.

محفوظ، نجيب، (٢٠١٩). ثرثرة فوق النيل، دار الشروق، الطبعة السابعة، ص ص١٦-١٧.

وداد، خضار، نسيمة حاجى (٢٠١٧). المنهج الاجتماعى العربى بين التأصيل والتجريب، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات والعلوم الإنسانية، جامعة العربى بن مهدى – أم البواقى، الجزائر، ص٢١.

يوسف، عصام (٢٠٠٨). ربع جرام، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الثانية والأربعون، ص ص٩-١٥-١٦-١٩-٢٠-٣٧-٦٧-٨١- ١٢١-١٢٢- ١٥٦- ١٧٢- ٢٥٧- ٢٨٩- ٣٥٩-٣٩٠- ٤٩١- ٥٢٠- ٦٣١-٦٣٢-٦٥١.

عزقول، أميرة، مرجع سبق ذكره، ص ٧٧.

Abstract

Drugs and Literature
An Analytical Study of the Two Novels "Chatting over the Nile" and "Quarter Gram"

Mona Beder

The current paper discusses the ability of Egyptian novel to tackle the issue of drug abuse and addiction over two different time periods in the Egyptian society (before the 1967 defeat and after the 1979 peace agreement). The events of two important novels are analyzed; Chatting over the Nile (Tharthara Fawk El Nile) and Quarter Gram (Robe" Gram). The paper seeks to define the traits of the main characters who abused drugs in both novels; as well as the reasons and consequences of their abuse. Specific details about the drug issue are also displayed; such as the places and ways of getting drugs; as well as the possible treatments that help saving from the maze of drug abuse.